من الحكمة البالغة، واعطي من العلوم الجمة الباهرة، وهو امي من امة امية لم يقرأ كتابا ولا درس علما، ولا صحب عالما ولا معلما، فاتي بما بهر العقول، واذهل الفطن من اتقان ما ابان، واحكام ما اظهر، فلم يعثر فيه بزلل في قول او عمل، وجعل مدار شرعه على اربعة احاديث اوجز بها المراد، واحكم بها الاجتهاد، احدها قوله انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى، والثاني قوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور مشتبهات ومن يحم حول الحمى يوشك ان يقع فيه، والثالث قوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه، والرابع قوله دع ما لا يريبك الى ما لا يريبك، وقد شرع من تقدم من حكماء الفلاسفة سننا حملوا الناس على التدين بها حين علموا انه لا صلاح للعالم الا بدين ينقادون له ويعملون به، فما راق لها اثر ولا فاق لها خبر، وهم ينبوع الحكم، واعيان الامم، وما هذه الفطرة في الرسول الا من صفاء جوهره، وخلوص مخبره،

فصل

والخصلة الثانية حفظه لما اطلعه الله تعالى عليه من قصص الانبياء مع الامم واخبار العالم في الزمن الاقدم، حتى لم يعزب عنه منها صغير ولا كبير، ولا شذ عنه منها قليل ولا كثير، وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه، ولا يحفظها بعين تحرسه، وما ذاك الا من ذهن صحيح، وصدر فسيح، وقلب شريح، وهذه الثلاثة آلة ما استودع من الرسالة، وحمل من اعباء النبوة، فجدير ان يكون بها مبعوثا، وعلى القيام بها محفوظا،

فصل

والخصلة الثالثة احكامه لما شرع باظهر دليل، وبيانه باوضح تعليل، حتى لم يخرج منه ما يوجبه معقول، ولا دخل فيه ما تدفعه العقول، ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم واختصرت الى الحكمة اختصارا لانه نبه بالقليل على الكثير، فكف عن الاطالة، وكشف عن الجهالة، وما تيسر ذلك الا وهو عليه معان، واليه منقاد،

فصل

والخصلة الرابعة ما امر به من محاسن الاخلاق، ودعا اليه من مستحسن الآداب، وحث عليه من صلة الارحام، وندب اليه من التعطف على الضعفاء والايتام، ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاسد، وكف عنه من التقاطع والتباعد، فقال لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا، لتكون الفضائل فيهم اكثر، ومحاسن الاخلاق بينهم انشر، ومستحسن الآداب عليهم اظهر، ويكون الى الخير اسرع، ومن الشر امنع، فيتحقق فيهم قول الله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، فلزموا اوامره واتقوا زواجره، فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم حتى عز بهم الاسلام بعد ضعفه، وذل بهم الشرك بعد عزه، فصاروا ائمة ابرارا، وقادة اخيارا،

فصل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)